

تواصل (المدى) نشر هذا الكتاب الذي يقدم صورة عن ذكريات وانطباعات وآراء بول بريمر حول فترة عمله في العراق وتهدف (المدى) عبر ترجمتها ونشرها الكتاب إلى إتاحة الفرصة لقراءها للاطلاع ، كما تتيح المجال للباحثين والمحليين وسواهم من المعنيين لمراجعة صادة الكتاب فكرياً ونقدياً.. وبهذا تؤكد (المدى) ان جميع الآراء والمعلومات التي يقدمها بريمر هنا هي تعبير عن وجهة نظره الشخصية التي لا تلتقي مع وجهة نظر (المدى) التي واكبت فترة حكم بريمر وما بعدها بالنقد الصريح المعروف عن الجريدة وعن سياستها الواضحة في هذا المجال.

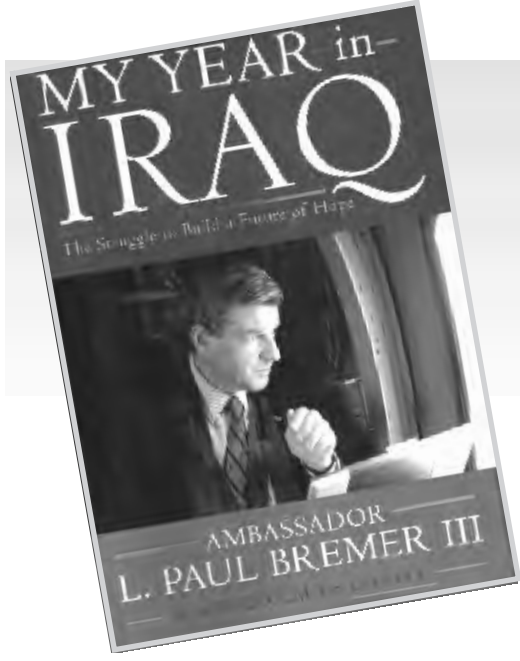
كتاب بول بريمر الصادر حديثاً حول تجربة عمله في العراق

استي في العراق

الصراع لبناء مستقبل من أمل

(الحلقة التاسعة و الثلاثون)

خلال الأيام الأربعة التالية ، خضعتُ تسم مرات لاستجواب لجان في الكونغرس. شعرت ببعض الأمان وأنا أتقن بمساعدة توم كورولوغوس من غرفة إلح غرفة ، محبياً ، بسعادة متساوية ، أعضاء جمهوريين وديموقراطيين من مجلس الشيوخ. ومع بهرجة أضواء التلفزة ، اختلعت ذكرياتي المتعلقة باستجواب ذاك الأسبوع ، لكن بعض الأيام ظلت ماثلة أمامي.



تأليف / بول بريمر
ترجمة / د. عابد اسماعيل

الاستقبال الذي استضفته البارحة في نيويورك. ولكن كانت ابنته معه، وارتأت أنه من غير المناسب أن أعفنه أمامها. لكن سلوكه منغص حقاً "أنا أوافق تماماً سيدي الرئيس، أجبت. "لكن الجلبي أقرب إلى شخصية تراجيدية. من الواضح أنه ذكي جيداً، وهو من أكثر القادة العراقيين فهماً للاقتصاد الحديث. وقام بعمل جيد في تمرير رزمة اقتصادية، في مجلس الحكم. ولم يكن بمقدورنا إنجازها من دونه. ولكن في النهاية، سوف يطبخ به ذكاؤه وطموحه."

"هل وصلت حمى الجلبي إلى البنتاغون؟" تسأل الرئيس.

"لا أعتقد أنه وصل إلى هناك، لكنه يقترب شيئاً فشيئاً."

لم أذكر للرئيس أنني كنت، في وقت الظهر ، قد اتصلت مع رئيس مستشاري نائب الرئيس سكوتر ليبي، واستفسرت عن نشاطات الجلبي، الذي قال لي "إن الناس هنا ضاقوا ذرعاً به أيضاً."

"أجريت حديثاً صريحاً مع الرئيس شيرك منذ أيام." قال الرئيس، مشيراً إلى الرئيس الفرنسي. قلت له إن بعض الناس في أمريكا لديهم شعور بأن فرنسا تريدنا أن نفضل في العراق. كلاً كلاً. قال جاك، "هذا غير صحيح." حسن، قلت له، في كل مرة تحدثت عن هذا الموضوع، يتشكل عند شعبنا هذا الانطباع."

وضحنا معاً. قلت للرئيس إنني درست وعشت في فرنسا، وكان لدي منزل وأصدقاء كثر هناك. لكنني أجد أن موقف فرنسا حيال العراق غير مبرر.

بعد حوالي خمس وأربعين دقيقة، اقترح السيد بوش أن نضم إلى العشاء. تناولنا الطعام في غرفة صغيرة خاصة، حول طاولة مربعة. بالقرب من الرئيس كانت توجد طاولة صغيرة، ينتصب فوقها جهاز تلفون أحمر اللون. قالت السيدة بوش أنهم دائماً يؤدون الصلاة قبل البدء بالطعام، تماماً كما أفعل أنا وفرنسي، ولذلك أمسكنا بأيدي بعضنا البعض، وخفضنا رؤوسنا، وصلبنا.

رحنا نتحدث عن مواضيع عامة تناسب الأزواج في منتصف العمر، وخاصة عن الأطفال، وفي حالتنا، تحدثنا عن حفيدتنا، أيضاً. لكن الحديث كان ما يقرباً يعود إلى العراق. قلت للرئيس إن أكثر أعضاء مجلس الحكم قريباً إلى قلبي، كانت عقيلة الهاشمي، التي توفيت في ذلك الصباح.

"هذا شيء مرعب"، قال، والتأثر باد عليه.

"أعتقد أنه يجب أن نصلي من أجل عائلتها أيضاً"، قالت فرنسي.

أوماً الرئيس موافقاً، واقتراح أن تقود فرنسي الصلاة. ثم أمسكنا شائبة بأيدي بعضنا البعض، وطلبنا من الله أن يبرح ويحفظ عقيلة وعائلتها، ويحيطها برعايته."

خلال عودتي إلى العراق، بعد أربعة ليالٍ أخرى، استيقظت فوق المحيط الأطلسي، داخل المقصورة الباردة والداكنة لطائرة سلاح الجو (G-5). فحاة تذكرت عشاء البيت الأبيض، وتذكرت كيف كنا، نحن الأربعة، نصلي لراحة نفس المرأة المسلمة المسماة عقيلة. وكنت، بعد انتهائنا من الصلاة، قد حاولت أن أخفف من كآبة المزاج، عبر سرد ما دار بيننا في آخر محادثة لنا. "أنتم الأمريكيون بالغتم كثيراً بموضوع الديموقراطية، سعادة السفير." كانت عقيلة قد انتقدتني، بلهجة خفيفة، على هامش إحد اجتماعات مجلس الحكم.

"ماذا تقصدين بذلك؟"

"حسن، في الليلة الماضية، كنت أنوي أن أخذ أطفالي إلى العشاء، واخترت مطعماً. كانوا يريدون الذهاب إلى مكان آخر، وأصروا. بما أنهم قد أصبحوا ديموقراطيين الآن- أن نضع الأمريقيد التصويت في العائلة. وخسرت."

جورج تينيت، "هضم جورج بوش هذا، لكنه لم يرد. كيف حال القوات العراقية؟"

"تتراوح في الوسط. إننا نستعد لتخريج أول دفعة من الجيش في غضون بضعة أسابيع. ولكن، بصراحة، سيدي الرئيس، أنا قلق بشأن تصور البنتاغون عن العراقيين الموجودين في الشرطة وكتائب الحرس الوطني."

"ماذا تقصد بالتصور؟"

"حسن، يبدو أنهم يعتبرون كل عراقي يرتدي بزة عسكرية مؤهلاً للمشاركة في قوات الجيش. إن هذا مضلل. هذا يعني أن الشرطي العراقي على سوية واحدة مع الجندي الأمريكي في الكتيبة الأولى أو الوحدات المحمولة جواً. إن الأمر ليس بهذه الصورة."

سألني عن السبب الذي يجعلهم يفكرون بهذه الطريقة، قلت ثمة قلق غير مفهوم بين صفوف الجيش نتيجة دورة انتقال القوات في أوائل ٢٠٠٤. "في المدى البعيد، إن أمن العراق يجب أن يعتمد على العراقيين، وخاصة من خلال قوات شرطة محترفة. نملك برنامجاً لتخريج قوات من هذا المستوى. لكن الأمر سوف يستغرق من ستة عشر إلى ثمانية عشر شهراً. قبل هذا التاريخ، يجب أن لا نندع أنفسنا بخصوص قدرة القوات العراقية."

انتقل الحوار إلى أحمد الجلبي، الذي كان في نيويورك مع الوفد العراقي المتواجد في الجمعية العمومية في الأمم المتحدة.

"هل تعرف، سيدي الرئيس، إنه يغازل الفرنسيين، من خلال الدفع باتجاه تسليم السيادة إلى مجلس الحكم الآن." ولكن هل يستطيع هؤلاء إدارة العراق؟" قلت، "إنهم غير قادرين على ذلك. اتصلت بالجلبي قبل يومين وطلبت منه عدم الحديث في الموضوع، وعدني أنه لن يفعل، لكنه البارحة فقط، عاد وهاجم خططنا في صحيفة نيويورك تايمز. إنه عنيد وغير قابل للإصلاح."

"أجل، أخبرتني كوندلي بالقالة." قال الرئيس إن الجلبي يقول لأعضاء الكونغرس الأمريكي بأن العراق يمكن له التلافة أضعاف إنتاجه من النفط. كلام غير واقعي، ويضعف من مصداقية طلب المساعدة، خاصة مع بعض النواب الجمهوريين الذين لم يحزموا أمرهم بعد. هذا حقاً يفقدني رشدي. كنت أنوي طرح الموضوع معه حين أتى إلى حفل

وتسأل الرئيس عن آراء العراقيين بحكومة إسلامية. "هل ثمة فرصة لأن يستولي رجال الدين على السلطة؟" قلت إن التحالف قد بدأ للتو بتطبيق استطلاعات الرأي، في أيلول. "من كل ما يمكننا مشاهدته حتى الآن- بالرغم من أنني لا أراهن تماماً على دقة هذه الاستطلاعات- فإن عدداً قليلاً من الشيعة يريدون حكومة ثيوقراطية." سيكون مهماً للاستقرار المستقبلي أن نشجع العراق على تبني دستور يحمي حقوق الأفراد، ويعتمد نظاماً فيدرالياً من نوع ما، يوازن بين السلطة التاريخية للعاصمة بغداد، وبين سلطة الأقاليم.

"كيف جرت جلسات الاستماع التي عقدتها بخصوص ميزانية الدعم الإضافية؟"

"كانت محترمة." اعترفت. "تسع جلسات خلال أربعة أيام، ولكن أعتقد أن كلا الحزبين سيوافقان في النهاية على الطلب." كان تحليلي يقول إنه بالرغم من العداء التي جوبهت بها، فإن الأكثرية في الكونغرس سوف تدرك الحاجة إلى إعادة بناء العراق، ومتابعة الحرب على الإرهاب.

سأل الرئيس عن الحالة الأمنية. "بصراحة، أنا أعتقد أننا لا نملك استخبارات كافية عن حركة التمرد." قلت، "كما أن تجربتي في سلك محاربة الإرهاب أقتعتني أننا مقبلون على تهديد معقد، ومتصاعد. لقد أثرت هذه المخاوف مع

كان الرئيس يرتدي لباساً غير رسمي، وقميصاً رياضياً أزرق وأسود، فيما بدت السيدة بوش أكثر رسمية، وهي ترتدي طقمًا وكعباً عالياً. كانا مرتاحين جداً، وسرعان ما انتابنا الشعور ذاته. كان رابطنا المباشر هو الحيوانات الأليفة لعائلة بوش، وخاصة كليهما الأسود، بارني، وقطنهما الأكثر سواداً، إنديا. كانت الحيوانات تتحرك بين الأرجل بسلوب خبيث ساحر، ما يعطي مكان الإقامة شعوراً بمنزل تسكنه عائلة متحابية.

سأل الرئيس بسألني عن العراق. "أنا متفائل على المدى البعيد." قلت، "كررت أنني سبق وأخبرته أثناء لقائنا في الدوحة أن الشعب العراقي مجتهد ومبدع. كل ما علينا القيام به هو إعطاؤهم الفرصة."

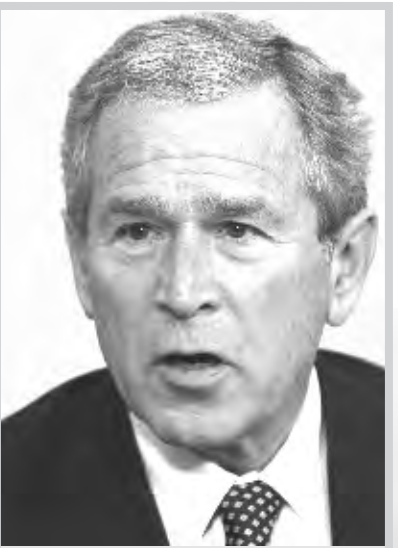
العراق. ودافع عن طلب المساعدة الإضافية الديموقراطي توم لانتوس من كاليفورنيا، والذي كان حليفاً قوياً في الحرب ضد الإرهاب، حين كنت أعمل سفيرا لريغان في محاربة الإرهاب. غير أن بعض الديموقراطيين وجهوا اتهامات ضد المتعاقدين الأجانب بسبب "أرباحهم المشيئة". وحاضر بي ديموقراطيون آخرون عن "عشرات الآلاف" من المدنيين العراقيين الأبرياء الذين قتلتهم قواتنا، كما يزعمون. وطلبت عضو الكونغرس دايان واتسون، من لوس أنجلس، بأن تعرف بالضبط عدد العراقيين الذين قتلوا، منذ أن بدأت الحرب، وتحدثني إن كنت أعرف. وما إن بدأت ردي، قاطعتني، قائلة إن وقت حديثها قد انتهى. وطلبت من رئيس اللجنة إعطائي فرصة للرد.

أجابت النائبة واتسون بإصرار، لا. إن وقتها قد انتهى، وكذلك وقت جلسة الاستماع.

لكنني أبدت إصراراً على الإجابة. وحث العديد من الديموقراطيين رئيس الجلسة بالسماح لي بالمتابعة. شرحت أن تحرير العراق قد نتج عنه إصابات قليلة، مدنية وعسكرية، مما لم يشهد له التاريخ مثيلاً. غير أن دايان واتسون لم تكن معنية بالتاريخ أيضاً. وأثارت لغظاً عالياً في الجانب الأيمن من المنصة، فيما كان المستشارون يحدقون. لكنني تابعت: حتى بعد خمسين عاماً من الدراسة، لم يعرف المؤرخون عدد الضحايا الذين سقطوا خلال الحرب العالمية الثانية. لكن يجب أن لا نضيع البوصله. في العراق، قامت قواتنا بعمل نبيل في تحرير بلد، مؤلف من خمسة وعشرين مليوناً، من أكثر ديكتاتوريات العالم استبداداً.

كان ثمة فاصل ممتع خلال ذلك الأسبوع الناجح: في يوم الأربعاء، ٢٤ أيلول، وجه الرئيس بوش وعقيلته، لورا بوش، دعوة لي وفرنسي، لحضور عشاء خاص في البيت الأبيض. مرة ثانية، حرص الرئيس بوش على التأكيد بأن دوائر واشنطن على اطلاع بهذا العشاء. وسمت صحيفة واشنطن بوس هذا الحوار "بالنقاش المزدوج."

صعدنا، أنا وفرنسي، في الصعد الكائن في الجناح الأيمن، باتجاه الشطر المخصص للعائلة، وحين انفتح المصعد على مصراعيه، كانت عائلة بوش تنتظر، بأيدٍ مبسوطة.



جورج بوش



د. احمد الجلبي

أمام لجنة التخصيص المالي في مجلس النواب، تجسد الموقف السلبي من جانب الأعضاء الديموقراطيين، وساندهم بعض الجمهوريين. وأوضح رئيس اللجنة السيناتور تد ستيفنس، من الاسكا، أنه ينوي وضع طلب الدعم المالي الإضافي أمام الأعضاء للتصويت عليه في أقرب وقت ممكن. واشتكى الجانب الديموقراطي من مبلغ التمويل المطروح، وبأن الإدارة تفتقر إلى "خطة" في العراق. وحين ذكرتهم أن سلطة التحالف المؤقتة أرسلت خطة استراتيجية، مؤلفة من سبع وخمسين صفحة، وزعت على كل عضو في الكونغرس، في ٢٣ تموز، زعم الأعضاء الديموقراطيون أنهم لم يروها مطلقاً. علاوة على ذلك، كشفت النقاب عن خطة في خطاب نادي الصحافة القومي، في الأسبوع نفسه. وكان برافقتي، ذاك اليوم، الموظف المسؤول، الذي سلم النسخ التي تحتوي الخطة،- المؤلفة من ٥٣٥ نسخة لكل مكتب في كابيتول هيل- في شهر تموز.

"على الأرجح" همس في أذني، "قام مستشارو الأعضاء الديموقراطيين برميها بعيداً."

في يوم الثلاثاء، ٢٣ أيلول، دعاني مؤتمر المشرعين الجمهوريين إلى إلقاء كلمة، بمناسبة اجتماعهم الأسبوعي على الغداء. سار الاجتماع على ما يرام. لكن كان لا يزال العديد من المشرعين ممن أرادوا أن تتحول ميزانية الدعم المالي الإضافي إلى قرض مساعد، أو في الأقل، أن توضع في جدول عائدات النفط المستقبلية، ليتم استيفاؤها لاحقاً. تحدثت ضد هذه الفكرة. إن العراق يكاد يكون مشلولاً لثوّه بسبب ديون صدام البالغة مليارات من الدولارات. لا نستطيع أن نستغل الفرصة بإرهاق الحكومة العراقية الجديدة، والهشة، بديون قائمة أكثر.

ووفقاً للتقليد، فإن أي متحدث تتم دعوته إلى مؤتمر الحزب، يجب أيضاً أن يكون متوفراً للحزب الآخر. انعطفت حول الزاوية إلى مؤتمر غداء الديموقراطيين. منذ اللحظة التي دخلت فيها القاعة، كنت أعرف أن ثمة مشكلة. كان معظم المشرعين الديموقراطيين، البالغ عددهم تسعة وأربعين، يتخلفون حول طاولات الغداء. كان رئيس الأقلية النيابية توم داشيل يجلس في مقدمة القاعة، لكنه لم يكلف خاطره تقديمي إلى الناس. اكتفى فقط بالإشارة لي لإلقاء المحاضرة.

بدأت بشرح الأسباب التي تجعل المساعدات الإضافية مهمة، منوهاً إلى "دروس التاريخ"، ومستذكراً الإخفاقات التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، والنجاح الذي أعقب الحرب العالمية الثانية. قاطعتني بظاظلة السيناتور جي روكفيلر، من ويسنت فيرجينيا، قائلاً، "الجميع هنا يعرف تاريخنا، سعادة السفير. لا تلتقي باننا بالتاريخ."

توقفت قليلاً، ثم تابعت، واصفاً كيف أنه، بعد الحرب العالمية الأولى، انسحب الحلفاء بعد إقتال ألمانيا بالديون الكبيرة.

"لا نريد أن نسمع عن التاريخ"، صرخ روكفيلر. لتذهب إلى الجحيم، قلت في نفسي. ثم تابعت. "ما أريد قوله عن التاريخ بخصوص هاتين المساعدات المالية، على مدى سبع دقائق، فيما كان المشرعون يجلسون مكتوفي الأيدي، وهم يحدقون بي."

طرح جو بايدن، السناتور من دالوير، الذي كان قد صوت لصالح الحرب، السؤال الأول، والذي كان أشبه بمحاضرة، عن أهمية الجهد الدولي، وليس الأحادي، في العراق. قلت إن جهداً هو للتو دولي. ثمة العشرات من الدول الأخرى تساهم بقواتها هناك. لدي مواطنين من خمس وعشرين بلداً في فريق سلطة التحالف المؤقتة. ثمة أكثر من ستين بلداً وعد بتقديم المساعدة في إعادة الإعمار. "وفر علي هذا الهراء الذي يقوله التحالف"، كان رده الوحيد.

في وقت لاحق من ذلك الأسبوع، مثلت أمام لجنة قضايا التسليح في الكونغرس، وقد تبع هذا مثولي أمام لجنة التخصيص المالي. كان الجمهوريون ميالين للصالح، والديموقراطيين للشجار. لوح السيناتور تيد كيندي، عاكساً، ربما، ارتباك الديموقراطيين بسبب تجاهلهم الخطة الاستراتيجية، حين عرضت عليهم قبل حوالي الشهرين، بنسخة أمان عدسات الكاميرا، ووصفها "بالنكته". لكن، ما كان قد وجد مسلياً، هو ما كان بالضبط قد أغفل ذكره في الخطة. كانت جلسة الاستماع الأخيرة التي أجريتها مع لجنة القضايا الخارجية، في مجلس النواب، داعمة، بشكل عام، للرئيس في